

قال شفيق البلخي (وقد كان من أطباء القلوب) يوماً لتلميذه حاتم الأصم: ما الذي تعلمته مني منذ صحبتني (30 سنة) فقال حاتم الأصم: سنة أشياء

(كل نَفْس يخرج في غير ما يقرب إلى الله فهو حسرة على العبد) مدارج (162/1)  
(كمال الإنسان بالعلم النافع والعمل الصالح) مدارج السالكين (1-1)

### أي قلب قلبك

أحيتي في الله.. تأملوا معي هذين الحديثين:<sup>1</sup>

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض، والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب". [الترمذي، وصححه الألباني]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل". [الترمذي، وصححه الألباني]

أيها الإخوة.. إن نفوسنا تتشكل وتتلون بألوان ثلاثة؛ فتارة تأمرك بالمعاصي والسيئات، وتارة تلومك وتزجرك عن فعل كل ما يُشِينك، وتارة تجدها هادئة مطمئنة.

لذا، فإن مكنم الخطر في نفسك الخبيثة الأمانة التي أمرت بمخالفتها، فلا تظن أن تركك نفسك هكذا بلا ضابط؛ سيعفبك ويُبرئ ساحتك أمام الله.

تقول: ولماذا خلق الله هذه النفس وجعلها تتشكل هكذا؟.. لماذا لم يخلقنا جميعاً بنفوس مطمئنة!!؟

أقول ما قاله الله سبحانه وتعالى: {لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} الأنفال: 37  
لِيُثَبِّتَ الصِّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ فِيكَ، لِيُظْهِرَ مَا فِي بَاطِنِكَ ظَاهِرًا؛ فَتَعْرِفَ حَقِيقَةَ أَمْرِكَ؛ فَتَسْعَى فِي تَغْيِيرِ مَا بِكَ؛ فَتَكُونَ لَهُ عِبَادًا حَقًّا، تُوَحِّدُهُ حَقَّ التَّوْحِيدِ، وَتَعْرِفُهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ.

ثم اعلم أن الله سننا كونية لا تتبدل ولا تتغير: {قُلْنَ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر: 43] ، ومن ذلك:

أنه كلما اشتدت الفتن زادت الرحمة. ومحال أن يضع الله عبداً أرادته وحده. كيف

وهو القائل سبحانه: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ} [التوبة: 115-116]

أخي في الله..

لا بد أن توقن بأن {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}

[النساء: 79].. فما لم تُقر بأن نفسك هذه الأمانة هي أعدى أعدائك، وأنتك مأمور بمجاهدتها؛ فلن

يصلح لك التزام، ولن تجد لذة وحلاوة الإيمان حتى تجاهدها في الله تعالى.. وهذا المعنى هو ما

أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في سيد الاستغفار: "أبوء لك بنعمتك علي،

وأبوء بذنبي؛ فأغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" [البخاري]

حبيبي في الله..

إذا فهمت هذا عن نفسك، وعرفت حال قلبك، وعلمت أنك أنت السبب؛ حينها ستعرف سبب

اختلاف الناس من حيث التوفيق والخذلان، فالشأن شأن القلب؛ فمن كان ذا قلب نقي ظاهر

يصلح أن يتقبل نور الهداية؛ وفق لكل خير، ومن كان قلبه مظلماً؛ حُجِبَ وخُذِلَ.

يقول ابن القيم كلاماً كالشهد، بل كالماء الزلال العذب عند لفتح الهجير:

"ثم فكرت هل للتوفيق والخذلان سبب، أم هما بمجرد المشيئة لا سبب لهما؟؛ فإذا سببهما أهلية

المحل وعدمها؛ فهو سبحانه خالق المحال متفاوتة في الاستعداد والقبول أعظم تفاوت؛

❖ الأول: رأيت الناس في شك من أمر الرزق وما منهم إلا وهو شحيح بما عنده حريص عليه فتوكلت على الله لقوله تعالى ( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها )لأنني من جملة الدواب فلم أشغل قلبي بما تكفل به القوي المتين . فقال له : أحسنت .

❖ الثاني : رأيت لكل إنسان صديقاً يفشي إليه سره ويشكو إليه أمره ولكنهم لا يكتُمون الأسرار ولا يدفعون مصادمة الأقدار فجعلت صديقي العمل الصالح ليكون لي عوناً عند الحساب ويثبتني بين يدي الله عز وجل و يرافقتني في مروري على الصراط .

فقال له : أحسنت

❖ الثالث : رأيت لكل أحد واحد من الناس عدواً فنظرت فإذا الذي اغتابني ليس عدوي ولا من ظلمني ولا من أساءني لأنه إنما يهاديني بحسناته ويتحمل عني من سيئاتي ولكن عدوي هو الذي إذا كنت في طاعة الله تعالى أغراني بمعصيته فرأيت أن ذلك هو إبليس والنفس والدنيا والهوى فاتخذتهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أدع واحد منهم يقر بني . فقال : أحسنت .

❖ الرابع : رأيت أن كل حي مطلوب وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب ففرغت نفسي لملاقاته حتى إذا ما جاء بادرت معه بلا عائق . فقال : أحسنت .

❖ الخامس : نظرت إلى الناس متحابين ومتباغضين ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئاً فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الجسد فنفيته عني بنفي العلائق التي بيني وبينه وهي الشهوات فأحبيت الناس كلهم فلم أرض لهم إلا ما رضيته لنفسي . فقال له : أحسنت .

❖ السادس : رأيت أن كل ساكن لا بد له من مفارقة سكنه وأن مصير كل ساكن إلى القبر فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التي تسرنني في ذلك المسكن الجديد الذي ما وراءه إلا الجنة أو النار .

فقال له شفيق البلخي : يكفيك ذلك واعمل عليه إلى الموت .

(كلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة له من الله أعظم) مدارج (88/1)

(الاستعانة بالله تجمع أصليين : الثقة بالله والاعتماد عليه) مدارج (86/1)

(العبد يسير إلى الله بين مطالعة المنة ومشاهدة التقصير) مدارج (159/1)

<sup>1</sup> نقل بتصريف من موضوع بعنوان أي قلب قلبك .

❖ كان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره.. فأمر باصلاح شاة. فقال رجل: عليّ ذبحها، وقال آخر: عليّ طبخها، فقال صلى الله عليه وسلم: "وعليّ جمع الحطب". فقالوا: نحن نكفيك. فقال: "قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه"

❖ جاء رجل من المؤلفات قلبهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا خليفة رسول الله مر لي بعطاء، فأمر له بعطاء (قطعة أرض)، وقال له: اذهب فأشهد عليها عمر بن الخطاب.. فذهب الرجل لعمر وقال له: ان أبا بكر كتب لي هذا، وأمرني أن أتيتك لتشهد عليها، فقال عمر: والله لا أشهد عليها، كنتم تأخذونها والاسلام ضعيف، أما الآن فالاسلام قوي، ثم أخذ الورقة ومزقها، فذهب الرجل الى أبي بكر وقال: والله لا ادري أيكما الخليفة أنت أم هو!! فقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: هو ان شاء الله.

❖ الحسين بن الحسن المروزي قال: قال عبدالله بن المبارك: كن محبا للخمول (كراهية الشهرة) ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول تترفع نفسك فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد لأنك تجر الى نفسك التثاء والمدحة .

❖ حدثت بعض الخلافات بين محمد بن الحنفية، والحسين بن علي، (وهما أخوان من الأب وهو سيدنا علي) فحينما طال الخصام بعث محمد بن الحنفية رسالة للحسين، وقال له: يا اخي طال بيننا الخصام وأنت خير مني وأمك خير من أمي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خيرهم من يبدأ بالسلام" رواه البخاري 6077 ومسلم 6478، وأخشى أن أبدأك السلام فأكون خيرا منك، فابدأني بالله عليك أنت السلام.

❖ يقول الامام الشافعي: "شربنا ماء زمزم للعلم فتعلمناه، ولو كنا شربنا للثقوى لكان خيرا لنا". وقال رحمه الله :

أحب الصالحين ولست منهم \*\*\*\* لعلي أن أنال بهم شفاعة  
وأكره من تجارته المعاصي \*\*\*\* وان كنا سواء في البضاعة

وقال ايضا :

"لا ترفع سعرك فيردك الله الى قيمتك، ألم تر من طأطأ رأسه للسقف أظله وأكنه، ومن تنادى برأسه شجه".

الأخوة في الله تعالى :

قال تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ) الزخرف 67  
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي" رواه مسلم .  
قال أبو علي الرباطي : صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية , فقال :  
علي أن تكون أنت الأمير أو أنا؟ فقلت : بل أنت. فقال : وعليك الطاعة, فقلت نعم , فأخذ مخللة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره.. فإذا قلت له اعطني , قال ألتست قلت

فالجنادات لا تقبل ما يقبله الحيوان، وكذلك النوعان كل منهما متفاوت في القبول؛ فالحيوان الناطق يقبل ما لا يقبله البهيم، وهو متفاوت في القبول أعظم تفاوت، وكذلك الحيوان البهيم متفاوت في القبول، لكن ليس بين النوع الواحد من التفاوت كما بين النوع الإنساني.

فإذا كان المحل قابلا للنعمة بحيث يعرفها، ويعرف قدرها وخطرها، ويشكر المُنعم بها، ويُثني عليه بها، ويعظمه عليها، ويعلم أنها من محض الجود وعين المنة، من غير أن يكون هو مستحقا لها، ولا هي له ولا به؛ وإنما هي لله وحده، وبه وحده، فوحده بنعمته إخلاصاً، وصرها في محبته شكرًا، وشهدها من محض جوده منة، وعرف قصوره وتقصيره في شكرها عجزاً وضعفاً وتقرُّباً، وعلم أنه إن أدامها عليه فذلك محض صدقته وفضله وإحسانه، وإن سلبه إياها فهو أهل لذلك مستحق له..

وكلما زاده من نعمه ازداد دُلاً وانكساراً وخضوعاً بين يديه، وقياماً بشكره، وخشية له سبحانه أن يسلبه إياها لعدم توفيقه شكرها، كما سلب نعمته عن من لم يعرفها، ولم يرعها حق رعايتها، فإن من لم يشكر نعمته وقابلها بصد ما يليق أن تقابل بها؛ سلبه إياها ولا بُد.  
قال تعالى: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام:53]، وهم الذين عرفوا قدر النعمة وقبولها، وأحبوها وأثنوا على المنعم بها، وأحبوه وقاموا بشكره.  
وقال تعالى: {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام:124]

وقفة مع الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك<sup>2</sup> (رحمه الله)

- عبدالله بن خبيق قال: قال رجل لابن المبارك: أوصني. فقال: اعرف قدرك.
- سعيد بن يعقوب الطالقوني قال: قال رجل لابن المبارك: هل بقي من ينصح؟ قال، فقال: وهل تعرف من يقبل؟
- أحمد بن الزبير قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوا وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره فينبغي علينا أن نكرها.
- قال الحسن: ورأيت في منزل ابن المبارك حماما طيارا. فقال ابن المبارك: قد كنا ننتفع بفراخ هذا الحمام فليس ننتفع بها اليوم قلت: ولم ذلك؟ قال: اختلطت بها حمام غيرها فتزوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.
- قال: وكنت مع ابن المبارك يوما فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا لي شرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر.

<sup>2</sup>أدرك ابن المبارك جماعة من التابعين منهم: هشام بن عروة، وإسماعيل ابن أبي خالد، والأعمش، وسليمان التيمي، وحמיד الطويل، وعبدالله بن عون، وخالد الحذاء، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وموسى بن عتبة، في آخرين، وكان أحد أئمة المسلمين. توفي منصرفا من الغزو ثلاث عشرة يوم خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

: أنت الأمير , فعليك الطاعة , فأخذنا المطر ليلة فوقف على راسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر.. فكنت أقول مع نفسي : ليتني مت ولم أقل : أنت الأمير.<sup>3</sup>

قال علي كرم الله وجهه : " عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة .. ألا اسمعوا قول أهل النار (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ) الاحياء 175/2

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ".<sup>4</sup> وقال الشاعر :

إذا أنت صاحبت فكن فتي

كأنك مملوك لكل رفيق

وكن مثل طعم الماء عذبا باردا

على الكبد الحرى لكل صديق<sup>5</sup>

قال بلال بن سعد : أخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله , خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً.<sup>6</sup>

قال بكر بن محمد بن عبد الله : إذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل : هذا فضل (منهم) أخذوا به , وإذا رأيت منهم تقصيرا فقل هذا ذنب أحدثته . (صفوة الصفوة)

قال حبيب الجلاب : سألت ابن المبارك : ما خير ما أعطي الانسان ؟ قال : غريزة عقل. قلت : فإن لم يكن؟ قال: حسن أدب. قلت فإن لم يكن؟ قال أخ شفيق يستشيره. قلت فإن لم يكن؟ قال صمت طويل: قلت فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل.<sup>7</sup> كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقعد إلى القبور , فقيل له في ذلك... فقال : أجلس إلى قوم يذكرو نني معادي , وإن غبت لم يغتابوني .<sup>8</sup>

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

"اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء" متفق عليه.

"اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر" رواه مسلم.

"لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم" متفق عليه. (دعاء الكرب)

"اللهم إني عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضي في حكمك، عدل في قضاؤك. أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي" رواه أحمد والحاكم وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار، وصححه الألباني "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" رواه الترمذي وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وقد قالت أم سلمة رضي الله عنها "كان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم."

أواخر رمضان 1428 هـ

تقبل الله من الجميع صالح الأعمال  
وكل عام وانتم بخير

.199/2

3

4

37

5

225/5

6

397/3

7

. 432

8